تحقيق

داود رمال
aborami20@hotmail.com

المناظرات الرئاسيّة في الغرب تقليد ديموقراطي وشعبي فحص برامج المرشحين ومحاولة التأثير على الكتلة الرماديّة

تقليد المناظرات الرئاسية يعود الى ستينات القرن الماضي، واول من باشرها الولايات المتحدة الاميركية لتنسحب على الدول الغربية، بحيث ظهر تأثيرها على الناخب ومن ثم على النتائج. الا ان هذا التقليد الديموقراطي الذي يفحص برامج المرشحين توقف على ابواب العالم العربي

على صفحات "الامن العام" فتحنا النقاش حول هذه المناظرات على انواعها، انطلاقا من تجربة معاشة لكل من الوزير والسفير السابق والاكاديمي الدكتور ناصيف حتي والسفير الاسبق للبنان في الولايات المتحدة الاميركية رياض طبارة.

حتي: لانتخاب رئيس من الشعب

■ ما الهدف الاساسي من اجراء المناظرات الرئاسية في الغرب؟

□ يندرج هذا الامر في تعزيز العملية الديموقراطية من خلال اشراك اوسع قطاعات الرأي العام، بالاستماع الى برامج المرشحين، وتقييم كل برنامج، وتقدير شخصية المرشح. مثلا، هناك صدمة من الوسطيين وحتى الديموقراطيين من اداء الرئيس الاميركي جو بايدن في مناظرته مع الرئيس السابق دونالد ترامب، خصوصا وان في الولايات المتحدة لا يوجد انقسام عقائدي او استراتيجي حاد كما نراه احيانا في اوروبا، وبالتالي الديموقراطي ليبرالي ويهتم بالشأن الاجتماعي اكثر، في حين لا توجد الثنائية القطبية الحادة. ربما يكون هناك كتلة معينة لها التزام فكري عقائدي، لكن هناك سهولة في الانتقال، وهذا يعتمد على شخصية كل من الرئيسين وعلى تقييم الاداء. هناك الكتلة الكبرى لدى الاميركيين التي قد تكون لم تخترْ بعد، فتتأثر في الاداء والافكار المطروحة في المناظرة، وهنا يجدر التذكير بالمناظرة في العام 1992 بين جورج بوش الاب وبيل كلينتون. يومها، لم يكن موضوع السياسة الخارجية موضع خلاف لسبب بسيط وهو نهاية الحرب الباردة، وما سمي بلحظة الاحادية الاميركية، بل كان التركيز على الوضع الاقتصادي. يومها اطلق جايمس كارفون مستشار كلينتون عبارته الشهيرة "انه الاقتصاد يا غبي"، ولأن لا انقسام ايدولوجيا حادا في المجتمع الاميركي، فان اولويته هي الاقتصاد. السؤال الذي يطرح بعد المناظرة بين بايدن وترامب، هو ما قدرة بايدن لو انتخب لولاية ثانية على الحكم في ظل وضعه، وهناك التصويت العقابي ضد اليمين المتطرف الذي جاء بماكرون رئيسا لفرنسا لولايتين متتاليتين، والامور اميركيا ستتوضح اكثر في تداعياتها على الانتخابات في المناظرة الثانية، ونظام المناظرات هو تقليد غير منصوص عليه في الدستور.

■ ما مدى تأثير هذه المناظرات على مزاج الرأي العام لاسيما مَن هم في المنطقة الرمادية؟

□ هناك كتلة انتخابية كبيرة غير ملتزمة بشكل مسبق، وتسمى سيولة بالرأي العام، ويمكن ان تذهب في اي اتجاه. مثال فرنسا واضح بعد ضمور الحزبين التقليديين الديغولي واليسار التقليدي الاشتراكي، وظهور اليمين المتشدد، ظهر ما يسمى التصويت العقابي وهدفه الحد من الخسائر، خصوصا وان الملف الاقتصادي اساسي جدا في فرنسا. كذلك الدور الاميركي، والكارثة في اوروبا هي عودة الحرب الباردة وكذلك الحرب بالوكالة في اوكرانيا، حيث ترامب من اصحاب نظرية الانفتاح على روسيا، بينما يجب ان تلعب اوروبا هذا الدور. رغم ان موضوع السياسة الخارجية ليس حاسما، لكن له تأثير على الكتلة الكبيرة وفي اي جهة ستنحاز، خاصة اننا لسنا في عصر كينيدي حيث الكاريزما كانت تلعب دورا كبيرا، وحيث الخطاب المختلف. انطلقت المناظرة في العام 1960، ويومها كانت بين نائب الرئيس الجمهوري ريتشارد نيكسون مع جون كينيدي، ومهم جدا اخذه في الاعتبار في النظرة الى هذا الامر.

> **التصويت العقابي هدفه الحد من الخسائر**

■ هل تؤثر هذه المناظرات على مَن يطلق عليهم الكتلة الصلبة؟

□ تؤثر على الكتلة الصلبة في مكان معين، لكن النسبة تكون قليلة جدا. التأثير الاساسي في الانتخابات هو التصويت العقابي، وهذا ما شهدناه في فرنسا عندما صوت اقصى اليسار للرئيس ايمانويل ماكرون، اما بالنسبة الى الولايات المتحدة الاميركية، فاذا تكررت السلبيات عند الرئيس بايدن في ايلول اي قبل اقل من شهرين من موعد الانتخاب، فسيكون تأثيرها اكبر.

■ هل من تأثير فعلي لهذه المناظرات على نتائج الانتخاب؟

□ طبعا يوجد تأثير. في الماضي لم يكن هذا التأثير يوصل الى قلب الاتجاهات، في ظل الخيار السياسي

العام وغياب الاستقطاب العقائدي، لكن مَن يتأثر هو الكتلة الوسطية او الرمادية، والمواطن عندما يصاب بخيبة امل قد يذهب الى تغيير موقفه الانتخابي، من دون ان يؤدي ذلك الى تغيير النتائج، لكن اذا كان التنافس حادا ستؤثر في هذا التوازن. اذا انتخب ترامب لن يكون الصراع مع روسيا كما هو الان خاصة في اوكرانيا، وسيكون هناك توترات مع الاوروبيين، كما شهدنا في الماضي كونه ضد التعاون انما يستخدم اسلوب الفرض.

■ ما امكان اسقاط هذه التجربة على لبنان لعلها تكون مخرجا للاستعصاء الرئاسي؟

□ نتمنى ذلك، لا بل اشجع عليه، لأن المركز الاول في الدولة، ايا تكن التركيبة الدستورية ودور الرئيس والقيود عليه، يجب ان يخضع للانتخاب الشعبي. البعض يقول ليس في لبنان احزاب سياسية وفق المفهوم الحقيقي للاحزاب، اي صاحبة برامج، وان القضايا الهوياتية والمذهبية تتحكم. هذا لا يمنع الانتخاب من الشعب شرط ان يحمل المرشح برنامجا يعده الحزب الذي رشحه مع حلفائه، وان يتم الالتزام به، حتى يكون الحوار حول هذا البرنامج المتكامل في السياسة الداخلية والاقتصاد والاجتماع، وفي موقع لبنان وعلاقاته الخارجية. هذا الامر مهم جدا لانه خطوة جديدة لتعزيز مفهوم المواطنة. فدستور الطائف اقر اللامركزية الادارية وانتخاب مجلس نيابي غير طائفي وانشاء مجلس الشيوخ، فلنذهب الى تطبيق الدستور وبناء مفهوم الوطن والمواطنة على حساب مفهوم فيديرالية طوائفية قائمة.

الوزير والسفير السابق ناصيف حتي

طبارة: تسمح بمشاركة شعبية في انتخاب رئيس

■ ما الهدف الاساسي من اجراء المناظرات الرئاسية في الغرب؟

□ للمناظرات الرئاسية والقيادية تاريخ طويل، وقد استعملت كوسيلة للتعريف بالمرشحين منذ العهدين الاغريقي والروماني وعهود عابرة اخرى. لكن ما قبل الانترنت والبث الفضائي ليس كما بعدهما. ففي العهود الماضية، كانت مئات من الناس في مدينة تتجمع حول المناظرين للمشاهدة والاستماع. اما اليوم، فالمشاهدون والمستمعون يعدون بالملايين، ومن جميع انحاء العالم. المناظرات السياسية التي اصبحت تقليدا في معظم بلاد الغرب، بدأت حديثا نسبيا. في فرنسا مثلا، كانت اول مناظرة سنة 1974 بين فرنسوا ميتران وجيسكار ديستان، وفي انكلترا بين رؤساء الاحزاب جوردن براون ودايفيد كاميرون ونيك كلايغ عام 2010. وفي سنة 2014 حصلت اول مناظرة على مستوى الاتحاد الاوروبي ككل، جمعت المرشحين لمنصب رئاسة المفوضية الاوروبية. لكن اشهر هذه المناظرات واقدمها واكثرها مشاهدة هي المناظرة الرئاسية الاميركية. اولى هذه المناظرات، ولربما اوسعها صيتا، جرت سنة 1960 بين جون كينيدي وريتشارد نيكسون، واصبحت بعد مدة تقليدا راسخا في الانتخابات الرئاسية الاميركية، كل اربع سنوات. عدد مشاهدي المناظرات الرئاسية الاميركية على شاشات التلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي حول العالم يعد بالملايين. وقد بلغ النسبة للمناظرة الاخيرة بين جو بايدن ودونالد ترامب اكثر من 51 مليون مشاهد، اضافة الى مستمعي الاذاعات. العدد الاكبر للمشاهدين حتى اليوم يعود الى المناظرة بين هيلاري كلينتون ودونالد ترامب سنة 2016 والذي بلغ 84 مليون مشاهد. اما اذا اخذنا نسبة المشاهدين والمستمعين لاجمالي عدد السكان في الاعتبار، فربما تكون الصدارة لمناظرة 1960.

■ الى ماذا تدل هذه الارقام؟

□ تبين هذه الارقام مدى اهمية هذه المناظرات بالنسبة الى عامة الناس، لاسيما وانها قلبت الاوراق في بعض الاحيان لصالح احد المرشحين كما سنرى لاحقا. السؤال هنا ما هي العوامل المؤثرة في هذه المناظرات؟ قبل الجواب عن هذا السؤال، لا بد من الاشارة الى ان فارق نسبة الاصوات ◄

السفير السابق رياض طبارة.

بين الرابح والخاسر في الانتخابات الرئاسية الاميركية لا يتعدى عادة بضع نقاط، لذلك، فان تحول نسبة ضئيلة من الناخبين من مرشح الى آخر تكفي لقلب النتائج.

■ ما مدى تأثير هذه المناظرات على مزاج الرأي العام لاسيما مَن هم في المنطقة الرمادية؟

□ العوامل المؤثرة في المناظرات، ليست في المقام الاول مواقف المرشحين من القضايا المطروحة على الساحة السياسية في حينه، اقتصادية اكانت ام اجتماعية او سياسية. فالمناظرات تأتي متاخرة نسبيا في الحملات الانتخابية الاميركية بعدما تكون مواقف المرشحَين وحزبيهما من كل هذه القضايا اصبحت معروفة لدى الناخبين، وقد رددها مرارا وتكرارا من خلال وابل من الاعلانات السياسية والمقابلات الاذاعية والتلفزيونية والمهرجانات الحاشدة. ما يؤثر على المشاهدين تحديدا، كما اظهرت التجارب، هي امور تتعلق ايجابا بشخصية المرشح ومنظره، وسلبيا باخطاء يرتكبها خلال المناظرة. ففي مناظرة 1960 مثلا، كان نيكسون يتفوق قبل اجرائها على كينيدي في الاستطلاعات بـ6 نقاط، اي بفارق كبير. وصل نيكسون الى المناظرة يعاني من المرض، ولم يكن قد حلق ذقنه ذاك الصباح، ورفض ان يخضع للماكياج العادي قبل الظهور على الشاشة. عرض عليه المخرج تأجيل اللقاء، فرفض. في المقابل، كان كينيدي حليقا وكان قد امضى بضعة اسابيع يتشمس لتسمير بشرته، كما خضع لعملية ماكياج سريعة من فريقه قبل المقابلة. ظهر نيكسون في المقابلة متعبا وهزيلا، بينما ظهر كينيدي شابا نشيطا جذابا. يجمع المعلقون على ان فارق المنظر بين المرشحين كان السبب الاساسي في قلب نتائج الاستطلاعات التلفزيونية في اليوم التالي للمناظرة لصالح كينيدي، بينما بقي الفارق نفسه لصالح نيكسون في استطلاعات اليوم التالي الخاصة بالمستمعين للاذاعات.

■ هل تؤثر هذه المناظرات على مَن يطلق عليهم الكتلة الصلبة؟

□ في بعض المناظرات، انقلبت الامور لصالح احد المرشحين بسبب كلمة او جملة قالها المرشح الآخر. على سبيل المثال، في انتخابات سنة 2012،

في بعض المناظرات تنقلب لصالح احد المرشحين بسبب كلمة او جملة

التي تمت المواجهة فيها بين ميت رومني وباراك اوباما، حصلت بينهما مناظرتان، ربح الاولى رومني بوضوح، بحسب استطلاعات الرأي. في المناظرة الثانية، وجوابا عن سؤال عن الفارق في الدخل بين النساء والرجال، قال رومني "لدي حافظات اوراق (binders) مليئة بالنساء المرشحات لمناصب حكومية"، مما اعتبر اهانة للنساء ترددت بشكل كثيف على وسائل التواصل الاجتماعي، وشكلت وفق معظم المراقبين، السبب الرئيسي في انقلاب الامور لصالح اوباما. حتى روح النكتة التي يتمتع بها المرشح تلعب دورا في هذه المناظرات. ففي انتخابات سنة 1984 التي تمت فيها المواجهة بين رونالد ريغان ووالتر مونديل، كان عمر ريغان 73 عاماً، وهو اكبر مرشح للرئاسة عمرا في تاريخ اميركا حتى حينه، عقبة كبيرة في وجه انتخابه امام مونديل البالغ من العمر 56 عاماً فقط. في بداية ذلك العام، كانت نسبة المساندة الشعبية (approval rating) لريغان قد انخفضت الى 35 في المئة. في المناظرة الرئاسية تلك السنة، كان الجميع ينتظر كيف سيدافع ريغان عن عمره المتقدم. عندما جاء دوره بالكلام قال ريغان: "اريدكم ان تعلموا جميعا انني لن اجعل من مسألة العمر قضية في هذه الانتخابات. لن استغل صغر سن منافسي وخبرته المحدودة لاسباب سياسية". ربح ريغان الانتخابات تلك السنة بفارق ساحق (landslide) وما زال مقطع الفيديو هذا يشاهد بكثافة حتى اليوم. ما سمح لريغان ان ينهض بهذه السرعة وهذا القدر تلك السنة، كان ايضا بحسب المراقبين، النمو الاقتصادي السريع الذي تحقق وتفاعلات تفجير مركز المارينز في لبنان والاجتياح الاميركي لجزيرة غرينادا.

■ هل من تأثير فعلي لهذه المناظرات على نتائج الانتخاب؟

□ المناظرات الرئاسية والقيادية لم تعد حكرا على دول الغرب، اي اميركا الشمالية واوروبا واوقيانيا، بل انتشرت، وان بشكل محدود، في دول العالم الثالث. في بعض هذه الدول كانت التجربة ناجحة، مما جعلها تتردد دوريا، وفي البعض الاخر فشلت بعد التجربة الاولى. من الدول ذات التجربة الناجحة، ايران التي انتهت للتو من مناظرتها الثالثة بعد مناظرتي 2013 و2017، والبرازيل التي نجحت في تنظيم مناظرات رئاسية كل اربع سنوات بدءا من سنة 2010. من الدول التي لم تستطع ان تؤمن استدامة هذا الحدث، الدولتان العربيتان اللتان خاضتا هذه التجربة، اي مصر سنة 2012 في المناظرة الرئاسية بين عمرو موسى وعبدالمنعم ابوالفتوح، وتونس سنة 2019 في المناظرة بين 7 مرشحين للرئاسة. نظرة عابرة الى هاتين التجربتين تظهر ان استدامة هذه التجربة تتطلب حدا ادنى من الديموقراطية الليبرالية ولا تتعايش مع الانظمة الديكتاتورية، او حتى انظمة ما يسمى دول الديموقراطية اللاليبرالية (Illiberal Democracy) كما في روسيا والصين والمجر.